إشكالات البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين

أ. سامية راجع
جامعة محمد خيضر – بسكرة

ملخص :

يقف القارئ في هذه الدراسة النقدية عند أهم القضايا والإشكالات النظرية والتطبيقية التي اعترت عالم البنيوية بتفريعاتها المتباينة ممارسة و تنظيرا، ويتضح ذلك من خلال تصريحات النقاد العرب المعاصرين بأزمة البنيوية في محطتها الشكلانية والتكوينية، حيث عملنا على جمع شتات تلك الإنتقادات المنددة والرامية إلى التقليص من حجم نقائص النقد البنيوي، وذلك بهدف تحويله إلى نقد فعّال، يستكشف المادة الجمالية للمنجز النصي .

وقد عملنا على إنتخاب مجمل الآراء المنددة بالنقد البنيوي عموما وذلك من خلال تسليط الأضواء على رؤى نقدية لأعلام نقدية بارزة و متميزة في ساحتنا النقدية المعاصرة ومن تلك الأعلام نذكر : محمد بنيس وعبد الله محمد الغذامي وعبد السلام المسدي وفاضل ثامر وعبد الله ابراهيم ويوسف وغليسي وصلاح فضل ويمنى العيد وعبد العزيز حمودة و ميجان الرويلي و سعد البازغي وسمير سعيد. وأحب أن أشير هنا إلى ملاحظة أساسية مفادها أن هذه الدراسة ليست مجرد عرض أو سرد ممل لأفكار أولئك الأقطاب ، فالقارئ للصفحات الأولى يلحظ روحا نقدية متأججة تطل من حين لآخر بين مفاصل هذه الدراسة و الهدف من ذلك هو تقديم بدائل نقدية ومقترحات جمالية تمكن حركتنا النقدية المعاصرة من الوصول إلى مستقبل نقدي واعد يغتني بلعبة التحولات الجمالية بعيدا كل البعد عن هذه الفوضى النقدية المعاصرة .

تعد قضية إضفاء الموصوف المنهجي من بين القضايا الكبرى التي طرحت على بساط النقد العربي المعاصر في صورته الاحترافية ، فقد اختلف نقادنا المعاصرون في قضية البنيوية كونها منهجا أو نظرية أو فلسفة أو مذهبا، و هل هي تيار أو اتجاه أو مدرسة !! ؟

نلتقي أول ما نلتقي بالناقد المغربي محمد بنيس، وهو في كلامه عن البنيوية لا يتردد في استعمال كلمة منهج و دون أن يكون لنا اعتراض على ذلك، نراه في كلامه على الاجتماعية الجدلية يستعمل كلمة اتجاه حينا، وكلمة تيار حينا آخر [1] كما يستعمل كلمة منهج حينا ثالثا [2]، دون أن يوضح لنا الفرق بين الاتجاه أو التيار والمنهج، ومن دون أن يشير إلى تعادلهما....

وقد اعتبر عبد الله محمد الغذامي البنيوية منهجا: « البنيوية من واقعها ليست مذهبا، وما هي بنظريته و ليست فلسفة، و لكنها منهج، ومن حيث كونها منهجا فبالتالي أداة للرؤية و ميزة أداة الرؤية أنها شيء خاضع لمستخدمها، المستخدم هو الذي يستطيع أن يجعلها مفيدة أو غير مفيدة» [3] و يتفق مع الطائفة السالفة، أعني الطائفة التي اعتبرت البنيوية منهجا كل من فاضل ثامر [4] وعبد الله إبراهيم [5] ويوسف وغليسي [6] في حين أننا نجد "صلاح فضل" قد اعتبر البنيوية نظرية، وهذا ما نلمسه من عنوان كتابه«نظرية البنائية في النقد الأدبي» [7]

وعبد السلام المسدي هو الآخر يتردد في إضفاء صفة الموصوف المنهجي على البنيوية، فتارة يطلق عليها نظرية، و تارة أخرى منهجا، و هي «استقامت منهجا في تناول الظواهر أكثر منها شيئا آخر » [8] غير أن البنيوية بالنسبة إلى الأدب كانت دائما نظرية، و لم تكن أداة عملية، فهي كما يقول أحد المعجبين بها ليست منهجا لإيجاد تفسيرات جديدة و مدهشة للأعمال الأدبية و إنما هي باب من لتفكير يتساءل كيف يمكننا الوصول إلى دلالات الأعمال الأدبية» [9] هذه النصوص على اختلاف سياقها تكشف لنا عن إستراتيجية الخلاف القائم بين مختلف النقاد في قضية التردد في إطلاق صفة الموصوف المنهجي على البنيوية، و نحن نميل إلى اعتبار البنيوية نظرية و دليلنا في ذلك هو أن النظرية كمصطلح تشير إلى التأمل النظري في كون ما. وهذا التأمل محكوم عليه بعدم التموقع في معايير ثابتة، فهو تصور لا محدود و من هذه الزاوية تبدو النظرية غير قابلة للتحديد و ضبط الملامح، و هذا هو شأن البنيوية التي اختلطت ملامحها و تشتت مبادئها في غمرة الاتجاهات النقدية الأخرى على المستوى النظري و لاسيما الإجرائي؛ ذلك لأن البنيوية تنتمي في جلها إلى اتجاهات نقدية سابقة عليها كما أنها تستدعي في الكثير من مقارباتها الإجرائية ملامح أخرى تنتمي إلى زمر منهجية جاءت من بعدها كالسيمياء و التفكيك ، هذا علاوة على التقاطع والتداخل الذي نلمحه بينها و بين الماركسية [*]من جهة، وبينها و بين الشكلية

الروسية من جهة أخرى، و برغم تباين الآراء حول هذا التأثر الذي ينفيه بعض مؤرخي النقد، ويؤكده البعض الآخر.

إلا أن الثابت هو أن الحديث عن الكلية (Holisme) و تركيز البنيوية على طريقة الدلالة، و ليس معنى الدلالة جاء تطويرا بنيويا لنفس الأفكار عند الشكليين الروس، على هذا الأساس: « لا يتردد بعض مؤرخي النقد الأدبي في الربط بين البنيوية والشكلية الروسية، بل يذهب بعضهم إلى القول بأن الشكلية هي في حقيقة الأمر بنيوية مبكرة » [10] و يمكننا أن نتبين ذلك التأثير من خلال تأسيس البنيويين الفرنسيين لاتجاه نقدي عني بالشعرية، و يعد جينات و تودوروف، و رومان جاكبسون من رواده البارزين،فقد أخذ البنيويون الفرنسيون من الشكلانيين مفهوم الأدبية، وصاغوا على منواله مجموعة من المفاهيم مثل النصية و التناص و الشعرية، وإضعاف دور المؤلف و التركيز على البنية، و الانتصار إلى قطب الداخل، و قد اهتم البنيويون الفرنسيون بمؤلفات ميخائيل بلغتين التي ترجمت جل أعماله إلى الفرنسية، وخصص له تودوروف مؤلفا و ناقش أطروحته في مبدأ الحوارية: في كتابه «نقد النقد» [11].

وفيما يخص الحكاية الشعبية، لا يكاد مؤلف من مؤلفات البنيويين الفرنسيين يخلو من إشارة ضمنية أو صريحة إلى عمل (فلادمير بروب)، والنظرية التي ساغها حول الحكاية من خلال تحليله لمائة حكاية شعبية.

و إذا أمعنا النظر في مبادئ البنيوية كما حددها بياجيه (الشمولية التحولات، الضبط الذاتي) فإننا نقول مع صلاح فضل «بأن الشكلية الروسية قد عبرت عن نفسها كنشاط بنائي مبكر» [12] ، و استعاد البنيويون الفرنسيون قول تنيانوف (إن الأثر يمثل نظاما من العناصر المترابطة، و وظيفة كل عنصر تكمن في ترابطه مع العناصر الأخرى ذات الدلالة، كالعلاقات التي تربط بين شخصيات رواية ما، تبعا لتعارضها أو تماثلها) و قد مهد بروب في دراسته للحكاية الطريق أمام ليفيش شتراوس في التحليل البنيوي للقصص، و لعل تحديد تودوروف للشكلية البنيوية يضيء مسارا قيما في إقراره بأن موضوع الأثر الأدبي هو خصوصية ذلك الأثر و ليس الأثر الأدبي عينه [13].

هذه هي مختلف المفاهيم التي تتقاطع فيها البنيوية مع إرث الشكلانيين الروس مما يؤكد للعيان أن البنيوية الفرنسية هي أطروحة شكلانية و من دون هوادة.

و إذا ما أعدنا النظر في أطروحات النقاد العرب المعاصرين في إضفائهم لصفة الموصوف المنهجي على البنيوية، فإننا نقر بمجانبتهم للصواب ما دامت البنيوية قد غيبت

ملامحها في غمرة الشكلانية الروسية، استنادا إلى التواشجات السالفة الذكر، هذه المشكلة تقودنا إلى قضية أخرى هي استحالة التصنيف المنهجي في عرف النقاد، والواقع أننا لا نعتبر التصنيف المنهجي مشكلة، و لو جعلنا منه مشكلة ما استطعنا الحديث عن النقد برمته. فإقصاء المنهج الفني من دائرة النقد الألسني عند الكثير من النقاد .لسبب بسيط مفاده ذوبان هذا المنهج في غمرة المناهج الأخرى. و نعتقد أن مسألة غياب الملامح هي مسألة لا تخص المنهج الفني فحسب، بل هي لصيقة باتجاهات النقد الاحترافي برمته، و عليه فإن اعتبار التصنيف مشكلة لا يقود في رأينا إلا إلى طريق مسدود.

و تأتي "يمنى العيد" في طليعة النقاد العرب الذين نددوا بالبنيوية، حيث ترى أن هذه المحاولات محدودة لا زالت محدودة جدا و متواضعة جدا، و لكنها برغم ذلك متحفزة وطموحة، وهي في وضعها هذا لا تخلو من التعثر الذي يظهر في ضياع هدفها أحيانا أي عدم وضوح ما تتوخاه: هل تريد هذه المحاولات أن تحقق معرفة علمية بالنص الأدبي العربي؛ أم أنها مجرد مواكبة لحركة تطور النقد، وترد يمنى العيد أسباب التعثر والتردد فيها إلى أن: النقاد يمارسون محاولاتهم مصحوبين بهمين؛ الهم الأول أن هذه المحاولات تنطلق من النص العربي في خصوصيته اللغوية، و في ضوء ارتباط بواقع ثقافي أدبي معين، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة تملك المناهج النقدية تملكا علميا واعيا، أما الهم الثاني فيكمن في أن البنيوية هي محاولات لتملك مناهج مازالت هي نفسها تطرح علامات استفهام على بعض أسسها أحيانا، وعلى وظيفتها أحيانا أخرى، وهذا ما يضع نقدنا الحديث المستفيد من هذه المناهج موضع قلق واضطراب دائمين [14] يضاف إلى هذين الهمين، هم انغلاق البنية نفسها.

« فالنص الأدبي على تميزه واستقلاله يتكون أو ينهض وينبني في مجال ثقافي هو نفسه، أي هذا المجال الثقافي . موجود في مجال اجتماعي، وإن ما هو داخل في النص الأدبي هو في معنى من معانيه «خارج» كما أن ما هو «خارج» هو أيضا وفي معنى من معانيه داخل...» [15] ، و قول يمنى العيد بانفتاح البنية عن الخارج مرده إلى أن الكثير من دلالات النص التي يسعى المنهج البنيوي الوصول إليها، لا يمكن كشفها إلا برؤية الخارج في هذا المجال أي بالنظر في النص الثقافي من حيث هو منظومة اجتماعية، و سياق تاريخي لا ينفصل عن الذات الإنسانية، و ترى يمنى العيد « أن كشف الدلالات و إضاءة المنطق الذي يحكم البنية عمل هام و لكنه عمل غير كاف، ذلك أن وضع هذه الدلالات في موقعها من سيرورة البنية الثقافية، ومن حيث سيرورة البنية الاجتماعية نفسها، عمل نقدي أيضا

ومطروح على المنهج البنيوي النقدي للأدب (يمكن أن نقول أن المسألة الجمالية هي مسألة مطروحة أيضا على هذا المنهج)» [16]

وإن كانت "يمنى العيد" ترفض الانفصال بين الداخل والخارج، فإنها بالمنطق نفسه ترفض الفصل بينهما في إعلائها من سلطة

الشكل على حساب المضمون، فإن يمنى ترى أننا « في بلداننا العربية أكثر ما نكون حاجة إلى مثل هذا النقد الذي لا يهمل النص كنص أدبي، لا يهمله في جسده الذي هو اللغة، و الذي في ما هو يشتغل على هذا الجسد و يصل إلى الأحشاء فيه، فيكشف غناه و يلامس أسراره، و يراه في الوقت نفسه في المجال الذي ينهض فيه، و يتجرأ على الجهر بجمال الجسد ، و يشرع لنا نوافذ نظل على زمن تسعى ويسعى التاريخ إليه » [17] إن اعتراض يمنى عن قضية الفصل بين الشكل والمضمون أو اللغة والأفكار يعود بالأساس إلى اعتبارها النص كثرة واحدة ، فالعالم يمدها بالأفكار، في حين أن اللغة تمدنا بالشكل، و نحن لا نعتقد أننا نستطيع الفصل بين الأفكار والعالم مثلما لا نستطيع الفصل بين لغة النص، ومضمونه، و في اتحادهما تكمن جماليات النص التي هي موضع بحث وتساؤل من مختلف الآليات التي تعج بها هذه المناهج النقدية.

هذا وقد أعرب صلاح فضل عن قصور الدراسة الشكلية للعمل الأدبي حيث يقول: «... إن الدراسة الشكلية المحضة قد آذنت بالقصور عندما أغفلت رصد علاقات الأدب المتشابكة بالظواهر الثقافية والاجتماعية المختلفة وتجاهلت الوحدة النفسية للإنسان الاجتماعي الذي يبدع و يستهلك ما صنعته يداه » [18] ، وفي ذلك تجريد لحرية الإنسان أو قدرته على ممارسة الإرادة الإنسانية، فحولت الإنسان من قوة فاعلة ومؤثرة في سجل التاريخ والواقع الاجتماعي إلى قوة سلبية عملت على تجميد حرية القارئ والمبدع، وهنا يلتفت الناقد إلى اغتيال عنصرين أساسيين فالعملية الإبداعية وهما المبدع والقارئ، هذا ناهيك عن الطابع التجريدي الذي يرتديه النص الأدبي في ضوء التحليل البنيوي مما يؤدي إلى طمس بعده الإنساني، أو الإرادة الإنسانية الفاعلة، وما ينتج عنها من تأثير في حركة التاريخ والإنسان، وفي هذا المعنى يندد فاضل ثامر بالإجراء البنيوي، حيث يرى: «... أن دور القارئ في المنهج البنيوي خاضع كليا لسلطة النص ذاته، فنوايا القارئ و أفكاره وخبرته وكذلك نوايا مبدع النص ذاته لا قيمة لها، والقراءة الإبداعية هي القراءة التي تسعى للكشف عن المكونات البنيوية والأنساق الداخلية للنص الأدبي»[19]، و في هذه القراءة الإبداعية تكمن خطورة النموذج البنيوي «... فالقول بوجود نسق أو نظام عام للنوع تدرس في ضوئه

الأنساق، النصوص الفردية يعني بالدرجة الأولى وجود نسق عام مغلق و نهائي، إذ كيف نحلل نصا فرديا في ضوء نسق غير مكتمل» [20] ، على حد تعبير عبد العزيز حمودة.

وهو ما يظهر في عملية التحليل البنيوي: « تطمح أصلا إلى اكتشاف قواعد التركيب وآلية المعنى (تشكيل المعنى).» [21] و هو ما يظهر جليا في قراءات البنيوية من خلال: «تجاهلهم لعملية تحديد المعنى أو الدلالة وتركيزهم على كيف تؤدي الدوال وظائفها» [22] وهو تصور بنى عليه فقدان موجهان إلى البنيوية، الأول الفشل في تحقيق المعنى، والثاني تعدد معنى النص الواحد.

لقد تحفظ عبد السلام المسدي عن البنيوية الشكلانية تحفظا كبيرا فيما انتقد أيضا البنيوية التكوينية في مقاربتها للواقع الاجتماعي، مبديا في موضع آخر اعتراضه عن البنيوية عموما من حيث هي استعارة منهجية غريبة وفيما يلي: شيء من هذه الشطحات النقدية الرامية إلى أسطرة البنيوية، يقول والقول لعبد السلام المسدي:«أبدي تحفظي خاصة تجاه البنيوية الشكلانية كما تتجلى في المدرسة البارتية مستثنيا من هذا التحفظ البنيوية التكوينية كما تتجلى في المدرسة البارتية الغولمانية، ويخامرني شعور قوي بأن البنيوية الشكلانية في مجال النقد العربي المعاصر خاصة، لن تعمر طويلا، و لن تغير الزمن النقدي العربي، كما هي تأمل تغيرا بنيويا جذريا، ولن تزيد عن كونها زوبعة في فنجان فكر عربي، و موجت فيه السطح،إن نقطة الحساسية والحرج في البنيوية الشكلانية هي بالضبط نقطة قوتها و إبداعها وهي نزعتها العلمية التقنية الباردة...» [23]، ثم يتابع المسدي نقده لهذه النزعة العلمية التقنية الحالمة إلى أن تصير علم خالصا بقوانين الأدب ومختبرا لتجاربه ونصوصه، وهي بهذا الدأب تبدل التعليل بالتحليل والتفسير بالفهم، فهي تنسخ و هي تعيد قول النص سؤالا بسؤال ومقالا بمقال، يضاف إلى ذلك عزلها للنص عن شروطه ومفاعيله الأساسية، وعن المجال الحيوي التاريخي [24].

ثم ينفذ المسدي إلى البنيوية التكوينية « وبقدر ما كانت البنيوية من هذا المنظور . تعالج الواقع الاجتماعي كله بوصفه تفاعلا بين أبنية جمعية لا واعية في التحليل الأخير فإنها كانت تخفف من راديكالية الذين اعتنقوها دون أن تدفعهم إلى التخلي الكامل عن نزعتهم الإنسانية، ولكن على نحو أصبحت مع البنيوية نفسها أقرب إلى نزعة معالية تلغي التاريخ وتغترب بالإنسان في سجون النسق والبنية والنظام» [25]، ولئن أثمرت البنيوية من حيث هي منهج عطاء متنوعا في مجال الفكر الغربي عامة والفرنسية منه خاصة، إلا أن تقويم قضية البنيوية في الوطن العربي، وفي رأي عبد السلام المسدي يأتي في

استخلاصين مفادهما أن البنيوية وإن احتلت منزلة واسعة في مجالنا العربي فإنها لن تنفذ بصفة جلية وفاعلة، إلا في نطاق الأدب، و من المميز للاستغراب أن الاهتمام بنشوء بنيويات توزعت على مختلف الحقول المعرفية لم يكن في مناخنا العربي ذا شأن يذكر، بل لم نكد نرى من المختصين في علم التاريخ أو علم الاجتماع أو علم النفس مثلا من قد حاول تجسيم ريادات منهجية جديدة انطلاقا من جداول البنيوية، والأشد إثارة للتساؤل أن البنيوية لم تخلق في حقول البحث اللغوي لدينا ريادات متميزة وإن قصارى ما حصل في هذا المضمار هو صورة عارضة من صور القضية، تمثلت فيما يسمى بالمنهج الوصفي الذي استوى ضديدا لما يسمى بالمنهج المعياري أما الاستخلاص الثاني للمسدي، فيكمن في أن البنيوية قد حققت في مجالات البحث العربي تأثيرا غير مباشر، و لكنه كان تأثيرا عميقا ذا إنعطات مترامية الأبعاد، وقد تمثل على وجه الخصوص في استلهام الباحثين لها، إما، بقصد صريح أو بوعي غامض . عند إقدامهم على دراسة الماضي و فحص خباياه [26].

وبعيدا عن هذين الاستخلاصين يناقش عبد السلام المسدي قضية اغتراف البنيوية من اللسانيات، وهو مكسب من مكاسب البنيوية، جعلها ومكنها من تعميق مفهوم النقد ومصطلحه: « بيد أن البنيوية عوض من أن تتخذ من اللسانيات وسيلة إجرائية فحسب جعلت منها وسيلة وغاية معا، وعوضا من أن تجعل منها آلية الدراسة الأدبية، جعلت منها جماع الدراسة الأدبية الأم، فأضحى النص في ضوءها نسقا لغويا صرفا وطقوسا شكلية المقام الأول، و هي إذ تبتز النص عن شروطه التاريخية ومكوناته المرجعية وتنزع منه ذاكرته الحية، مكتفية بتفكيك أجزاءه وتسريح كتلته إنها تكتم أنفاس النص وتجمد زمنه كما تجمد زمن النقد أيضا حين يغدو وصفا محايدا وبريئا للنص وأعمدة مجهرية له حين يغدو مجرد وسيلة لامتلاك جسد النص دون روحه وأعصابه» [27] وهنا يكشف عبد السلام المسدي عن التوازي القائم في عرف النقاد البنيويين بين البنيوية واللسانيات، فقد أخذت البنيوية من اللسانيات جميع مبادئها الإجرائية إلى درجة أصبح يصعب معها التمييز بين لدراسة اللسانية، والدراسة البنيوية للنص الأدبي، و بهذا الدأب تكون البنيوية قد استعارت من اللسانيات وصفة نقدية، أرادت بموجبها سبر مكامن النص الجمالية، إلا أن هذا الهدف حال بينها و بين الدراسة اللغوية الصرفة فتحولت المقاربة البنيوية إلى هندسة شكلية محضة تنم عن حياد كبير بروح النص، و لآلئه الجمالية. و لعل هذه المزالق هي التي جعلت المسدي يتحفظ عن البنيوية الشكلانية، و ينتقد في الوقت نفسه، البنيوية التكوينية، ومن دون تخطي النقد الذي اعترى المنهج البنيوي في رحلته إلى البقاع العربية.

هذا وقد التفت ميجان الرويلي وسعد البازغي، إلى المزالق التي اعترت البنيوية، أولها نفي العلمية عنها مع استخدامها للرسوم البيانية وجداول متشابكة تخبرنا في النهاية ما كنا نعرفه مسبقا وثانيها: تجاهلها للتاريخ، وثالثها عزل النص عن سياقه وعن الذات القارئة، ورابعها: إهمال للمعنى [28] يوجه اتهاما إلى البنيوية بمختلف اتجاهاتها يتمثل في أنها فلسفة موت الإنسان، و إنها تلغي التاريخ، وهي بهذا الدأب تقدم دعما للأيديولوجية التكنوقراطية التي تتخذ موقفا سلبيا من الإنسان وتدمر قيمه بمختلف أنواعها، و يرى عمر محمد الطالب: «أن نظرة البنيوية السكونية إلى الإنسان وإلى التاريخ تعد من أبرز القضايا التي ركز عليها نقاد البنيوية خصوصا» [29] ، لأن البنيوية تجاهلت التاريخ والإنسان على حد سواء، بل أن «ميشال فوكو قد أنكر التاريخ والإنسان بشكل صريح، مركزا على العناصر الثابتة في المرحلة التاريخية بل إنه يشكك في مفهوم الإنسان نفسه،و ينكر بشدة النزعة الإنسانية» [30]، وقد استعاضت البنيوية عن النظرة الشائعة إلى تقدم الروح الإنسانية، وهي النظرة التي تمثل هذا التقدم، على أنه تراكم تدريجي لمكتسبات يضاف الجديد منها إلى القديم إضافة خارجية، أي تكون فيه الأفكار الجديدة مجرد توسيع لأفكار سبق ظهورها من قبل.

وقد أشار عبد العزيز حمودة إلى الفشل الحقيقي الذي منيت به البنيوية:«وهو العجز عن تحقيق المعنى.. وإذا سلمنا بكفاءة المنهج البنيوي في تقديم منهجي علمي للغة، فمن الصعب التسليم بكفاءته في تحليل النصوص الأدبية، وإنارتها وتحقيق المعنى» [31].

و يلفت سمير سعيد إلى نقطة حساسة تتمظهر فيها البنيوية كجسم غريب على نصنا العربي، فهو يشير إلى الروح العربية و الحضارية تحت وقع سياط البنيوية في تسليط أضواءها المعتمة على نصنا الأدبي «فهذه الاتجاهات البنيوية تعالج الآثار الأدبية في ضوء مفاهيم و مناهج تقطع الأوشاج التي تصل بينها وبين بيئة الأدب الحضارية أو التاريخية، بحيث يبدوا لنا أن المنطق الذي تنطوي عليه غائب عن وجودنا الفكري و الثقافي. و حاضر في منطق النموذج الثقافي الذي ظهرت في...» [32]. و يؤكد الناقد أن البنيوية قد ألغت كل علاقة بين الأثر والمجتمع والتاريخ، والسير نحو الاتجاه الانعزالي الفردي، و إهمال الوعي بالإطار العام للحضارة [33] فهذه الأبحاث « (البنيوية) قد قضت على معنى العمل الأدبي في صميمه ومعنى عناصره المتكاملة» [34]. البنيوية بهذا التصور الذي جاء به سمير سعيد . تمثل حلقة اغتراب كبرى عن النص العربي؛ لأنها قطعت تواشجه بالروح العربية، حين أبعدته عن بيئته الثقافية والحضارية ، وهي محاولة لعزل النص عن المجتمع والتاريخ والإنسان. والحضارة والثقافة و من ثمة القضاء على معنى النص ووأده نهائيا. وهذا الطيف

من الانتقادات أشار إليه النقاد الغربيون عدا قضية انفصال النص العربي عن بيئته وحضارته وثقافته، لأن مثل هذا الانفصال لم تعرفه الثقافة النقدية الغربية البنيوية، مادام المنهج البنيوي هو وليد تلك البيئة، وبرغم ذلك لم تخل تصريحات النقاد الغربيين من التنديد بالبنيوية.

و نرى أن هذه السلبيات لا تضيف جديدا إلى الأفق الجمالي و المعرفي للنص، فهي سلبيات وانتقادات شكلية تحوم حول الظاهرة الأدبية دون أن تتخذ من بؤرتها الجمالية والمعرفية مستقرا، فهي انتقادات موجهة صوب البنيوية لا إلى علاقتها بالحيز أو المدار الذي تشغله البنيوية عن النص وما ينفتح عليه من آفاق جمالية، الإشكاليات إذن تكمن في علاقة المدار الذي تشغله البنيوية في أطرها النظرية بالحيز المعرفي والجمالي للنص الأدبي، إنها مشكلة مفاهيم.

وحينما نرفض مثل هذه الانتقادات، فإننا نرفضها لسبب رئيس يتمثل في بعدها عن القوانين التي تنفتح عليها المعرفة الشعرية . والبنيوية إذن تدمير للإنسان وذاته تحت أنغام لعبة تكنولوجية عظيمة و حائرة شبيهة بمغامرة العقل الأولى.

الإحالات

(1)ينظر محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة ، بيروت، ط1 ، 1979، ص 21.

(2) المرجع نفسه، ص 23.

(3) من حوار مع عبد الله محمد الغذامي، أجراه جهاد فاضل في أسئلة النقد، الدار العربية للكتاب، د.ط، د.ت، ص 207.

(4) ينظر: فاضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج و النظرية و المصطلح في الخطاب النقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1994، ص 45.

(5) ينظر: عبد الله إبراهيم و آخرون، في معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط2 ، 1996 ، ص 39.

(6) ينظر يوسف وغليسي: إشكاليات المنهج و المصطلح في تجربة عبد الملك مرتاض النقدية (رسالة ماجستير): معهد الآداب و اللغة العربية، جامعة قسنطينة، 1996، ص 114.

(7) الصادر عن منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، ط 3، ص 1997.

(8) عبد السلام المسدي: قضية البنيوية دراسة ونماذج، منشورات دار أمويه، تونس،ط1991،1،ص 18

(9) المرجع نفسه، ص 124.

(*) يتضح هذا التدخل بين البنيوية و الماركسية في أن كلتيهما استخدمت مصطلح البنية، و الاختلاف هنا يمكن في طريقة الاستخدام لا غير، و يلقيان في فكرة التخلص من طغيان السلطة و الإعلان عن نهاية الإيديولوجيات للتوسع يراجع رومان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة سعيد الغانمي، دار الفارس للنشر و التوزيع، المغرب، ط 1، 1996، ص 64 و ما بعدها.

(10) عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، منشورات عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998،ص187.

(11) الصادر عن المنشورات الإنماء القومي، بيروت، ط 1، 1996.

(12) صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، النظرية البنائية، منشورات الأفاق الجديدة، بيروت، ط3 ،1997،ص 106.

(13) ينظر: عمر محمد الطالب: مناهج الدراسات الأدبية الحديثة، دار السير للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1988،ص 210.

(14) ينظر: يمنى العيد: في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985 ، ص 121.

(15) المرجع نفسه، ص 38.

(16) المرجع نفسه ، ص 39.

(17) المرجع نفسه ، ص 40 ، 41.

(18) صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 103، 104.

(19) فاضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج النظري و المصطلح في الخطاب النقدي، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1994 ، ص 45.

(20) عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، ص 284، 285.

(21) المرجع نفسه، ص 237.

(22) المرجع نفسه ، ص 282.

(23) عبد السلام المسدي: قضية البنيوية، دراسة و نماذج، ص 109.

(24) المرجع نفسه، ص 109.

(25) المرجع نفسه ، ص 85.

(26) المرجع نفسه ، ص 21

(27) المرجع نفسه ، ص 109، 110.

(28) يوسف وغليسي: إشكالية المنهج و المصطلح في تجربة عبد الملك مرتاض النقدية، ص108.

(29) عمر محمد الطالب: مناهج الدراسات الأدبية الحديثة، ص 217

(30) المرجع نفسه، ص 217.

(31) عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، ص 281، 282

(32) سمير سعيد، مشكلات الحداثة في النقد العربي،دار الثقافة للنشر القاهرة، ط1،2001، ص42.

(33) المرجع نفسه، ص 41.

(34) المرجع نفسه، ص 153.